كل ذي قول يورد الادلة على تأييد رأيه لكان للجاهل ان يشك في بلاغته لانه علم ان أهل الشأن اختلفوا فيها وهو غير قادر على الترجيح . والامر في القرآن على غير ذلك فقد أجمع بلغاء العرب من آمن منهم ومن لم يؤمن على اعجازه وكذلك العلماء بالعربية الذين أخذوها بالصناعة فلم يبق للجاهل عذر بعد العلم بان هذه مسألة لا نزاع فيها عند العارفين بهذا الشأن والله أعلم

الباب الثاني في التعليم

مضار تربية النساء الاستقلالية

كتبنا من قبل في بيان مضار استقلال النساء بتربيتهن كتربية الرجال وإقناعهن بأنهن مساويات لهم من كل وجه فان هذا أمر مخالف لسنن الفطرة التي بينها دين الفطرة في كتابه السماوي فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » أي ان المساواة بين الزوجين واجبة في الحقوق مع حفظ حق سيادة المنزل للرجل . وقد أوردنا الشواهد والامثلة عن أهل أوروبا لاسيما نساء الانكليز على وجوب جعل المرأة تحت سيادة الرجل وعلى كون التربية عندهم صارت تعارض ذلك . وقد رأينا عنهن شاهدا جديدا في هذه الايام وهي ان النساء الكاتبات الفاضلات اللواتي تربين وتعلمن في هذا العصر طفقن يكتبن في الجرائد منتقدات شاكيات من تربية بناتهن تربية جعلت همهن محصورا في الزينة واللوع بصرف الاوقات في المتنزهات حتى صار يثقل عليهن مساعدة أمهاتهن في تدبير المنزل . وقد نقل المقطم نبذة من ذلك الى العربية عنوانها (حرب سجال) نوردها هاهنا تأييدا لقولنا وهي

«في انكلترا الآن حرب أقلام ثار عجاجها على صفحات الجرائد الانكليزية بين الامهات وبناتهن ورب قلم احد من السنان وامضى من الحسام . وقد كانت الامهات البادئات بالعداء فان أما منهن رأت من بناتها تقصيرا في قضاء الواجبات المنزلية المفروضة عليهن وميلا الى عصيان كل أمر تصدره اليهن فهالها طغيانهن وتهاملهن وضاقت ذرعا عن كبح جماحهن فاستغاثت بالجرائد وبعثت برسالة الى احدى الجرائد المشهورة

بامضاء « أم خائبة الامل » وهذا نصها بعد الديباجة

« أريد أن أعلم آراء قراء جريدتكم في هـذه المسألة . فان لي ثلاث بنات عمر الصغرى منهن ١٧ والكبرى ٢١ وقد تعلمن في مدارس معروفة وأكملن دروسهن ولزمن البيت . وزوجي متقلد منصبا حسنا فلا حاجة بهن الى احتراف حرفة يرتزقن منها . ولكن أملي بهن خاب لما يبدين من الميل الى الحرية والاستقلال فبدلا من ان يساعدني ويتفكرن في تراهن لايتفكرن في غير أنفسهن وملاذهن كالالعاب الرياضية وغيرها مما هو خارج عن دائرة الاشغال المنزلية ويكرهن البقاء في المنزل ايام استقبال الزائرين ورد الزيارات معي قائلات ان ذلك من قبيل اضاعة الوقت وهن يسخرن باذواقي ويعددنها اذواقا قديمة ليست حسب الاذواق الحديثة ولا يزلن يتعلمن الموسيقى الى الآن فيقضين نصف النهار في التمرن عليها

« هذا واني لست أريد مماريتهن في كل شيء ولكني أريد أن أعلم ان كانت بنات الناس كذلك وعالم استحسنه فيهن استعمالهن كلمات زقاقية وعبارات الغلو والمبالغة في حديثهن . فهل توافقني سائر الامهات على ان هذه هي (مودة) هذا الزمان »

وكأن هذه الرسالة جرأت الامهات على مالم يجترئن عليه قبلها فبعثن بالرسائل تباعا الى ادارة الجريدة يشكون أمورا كثيرة يأتيها بناتهن مما ينكرنه عليهن . فذكر بعضا للتفكهة قالت احداهن :

« اني اوافق على كل ماقالته صاحبة الرسالة الممضاة بامضاء « الام الخائبة الامل » فاننا كلينا في « الهوى سوى » وان للبنات حرية زائدة هذه الايام في العمل والكلام فاذا قاطعتهن انتقمن لانفسهن برد جوابات فيها مافيها من الصلف والوقاحة . وهذا اختبار أم أخرى خاب أملها » . وقالت غيرها :

« اخشى ان ماتشعر به (الأم الخائبة الامل) يكون مطابقا لشعور الامهات في جميع العالم وهو دليل على انحطاط الشعور القديم من نحو العائلة وانتشار « المودة » الجديدة وهذا آفة على التهذيب القديم الذي كان أمهاتنا يعتقدن بقوة تأثيره فينا » وقالت أخرى :

اني أشارك الام الخائبة الامل في ما تراه وتشعر به وأقول ان تمرد البنات شر متفاقم تشعر الامهات بضرره الشديد . فان الامهات حاولن تربية بناتهن على مثل ما ربين

عليه أيام كانت الحشمة الحقيقية ناتجة عن رقة الشعور واحترام الآخرين . ولكن تلك الافكار امست قديمة مبتذلة الآن فبنات البنات لايحترمن امهاتهن ولا يخضعن لهن . بل يفعلن مايردن غير مكترثات لآراء والديهن . فما هي نتيجة ذلك ياترى . وكيف تربي أولئك البنات أولادهن متى تزوجن»

هذا مثال الرسائل التي أرسلها الامهات يعترضن فيها على سلوك بناتهن ومواقفهن أخ أرسل رسالة بامضاء «أخ مشمئز» قال فيها: ان هذا العصر هو مايسمونه عصر «التقدم» و«تساوي الجنسين» وغير ذلك من الاسماء فكانت نتيجته «المرأة الجديدة» التي نراها الآن بعيوبها الكثيرة:

وما كادت هذه الرسائل تنشر حتى استشاطت البنات حنقا وارسلن الرسائل تترى الى الجريدة المذكورة جوابا على شكاوى الامهات ونصرهن بعض الآباء والامهات كما سيأتي . وهاك أجوبة بعض البنات قالت احداهن بامضاء «ابنة مضطربة»

«أنا ابنة مدركة سن الرشد وأحوالي على ماوصفت «الام الحائبة الامل» في رسالتها ولا شيء يسرني مثل مساعدة والدتي على تدبير المنزل وتخليصها من همومه الكثيرة ولكنها لاتعتمد عليّ في عمل من أقل الاعمال لانها تعتقد ان لاأحد يحسن عملا الا اذا كانت يدها فيه وهي تراقب عمله . وعليه عدلت عن الاهتمام بتخليصها من عناء الاشغال والاعمال المنزلية لاني وجدت الاهتمام يضيع سدى. فكيف تؤمل الامهات ان تثق بناتهن بهن مادمن لايثقن ببناتهن وهل يستغرب من البنات الاهتمام بما هو خارج البيت اذا كنا لايجدن فيه من يهتم بهن ويعطف عليهن»

وكتبت بنت كتابا طويلا بالاصالة عن نفسها والنيابة عن اخواتها قالت فيه ما ملخصه:

«ان معظم بنات هذه الايام يقضين عدة سنوات في المدارس يلعبن فيها ألعابا مختلفة لترويض أجسادهن ومتى خرجن منها ودخلن البيت ينتظر أمهاتنا منا ان نكون رفيقاتهن وان لانعمل عملا سوى الاهتمام بشؤون المنزل فشتان مابين جلوسنا في غرفة الاستقبال نسمع انتحاب أمهاتنا وزائراتهن من فساد أمر البنات في هذا الزمان وحديثهن الدائم عن الخدمة والخادمات وبين التنزه على ضفة النهر أو لعب الالعاب الرياضية

«ولسنا نقصد أن نكون محبات لانفسنا وقضي العمر بالتمتع بنعيم هذه الحياة فقط بل

اننا ندخل البيوت مشتاقات الى مساعدة امهاتنا مستعدات لتعلم الاعمال والاشغال اليدوية ولكننا نريد ان نقوم بالواجب علينا على الطريقة التي نحبها ونهواها . فكل يوم نرى شيئا جديدا نحب اقتباسه وادخاله الى منزلنا ولكن أمهاتنا يعارضننا بدلا من أن يوافقننا على أذواقنا قائلات ان العجب لا يعجبنا واننا لا نستحسن شيئا في البيت بل نجد عيبا في كل شيء ونرى منازل الآخرين احسن من منازلنا. مثال ذلك ان أكثر البنات مولعات بترتيب الازهار التي توضع على مائدة الطعام وفي غرف الاستقبال فيرتبنها وينظمنها على أذواقهن ولكن أمهاتهن يغتنمن فرصة غيابهن ويقحمن بين تلك الازهار الجميلة المتناسقة ازهاراً ذات الوان لا توافق الذوق السليم فيضيع تعب البنات سدى

«وأكثرنا ينتظر بسرور مجيء اليوم الذي نصبح فيه ربات منازل مستقلة فنكثر همومنا ومشاغلنا ويأتي دورنا للزيارات وردها فلماذا هذه العجلة الآن »

أما الامهات اللواتي انتصرن لبناتهن فمنهن أم كتبت كتاباً بامضاء (أم مسرورة شكورة) قالت فيه «لما قرأت كتاب «الام الخائبة الامل» حزنت عليها فقد صرت بي سنوهم وشقاء من شراسة زوجي ولكن بنتي كانت تعزيتي وقوتي على احتمال مصيبتي وقد عرض كثيرون من الاصدقاء والاقارب ان يأخذوها معهم في أسفارهم للتنزه ومشاهدة هذا العالم. اتهموني بحب الذات لاني لا أسمح لها بالابتعاد عني ولكنني اؤكد لكم اني لم اجبرها على عمل شيء بل تركتها تفعل ما تشاء»

ومنهن أم كتبت رسالة بامضاء (أم راضية) قالت فيها: «ان لي اربع بنات لا يتأخرن عن مساعدتي حينما اشاء ولكنني لا اطلب منهن الشيء الكثير لان للشباب مطالب لا يصح الاغضاء عنها فبعض الامهات يطالبن من بناتهن اموراً كثيرة وقلما يخطر ببالهن ان الالعاب والملاهي لازمة لهن وعندي انه يكفي البنات ان يشتغلن بجمع الازهار وتنسيقها وترتيبها ونفض أثاث البيت من الغبار الا اذا اضطرت الحال الى اكثر من ذلك»

أما الاب الذي انتصر للبنات فقد عدل في حكمه ولم يجر فاعترف باهمال البنات وتطرفهن ولكنه نسب ذلك الى اهمال الامهات حيث قال: لو عرفت الام الخائبة الامل كيف تعلم بناتها عمل الواجب عليهن لما احتاجت الى كتابة رسالتها فان البنات يربين هذه الايام تربية مطلقة من كل قيد ويعطين كل ما تشتهيه نفوسهن . فينكر الوالدون أنفسهم حبا بهن

ولكنهن لا يفهمن معنى انكار النفس فيشبين وقد تعودن طلب كل شيء بالامر والنهي كأن لهن حقا شرعيا فيه بدلا من ان يطلبنه طلبهن للمعروف . فاي حق لفتاة منها ١٧ سنة في الاعتراض على شيء من الاشياء انما يجب عليها ان تفعل ما يطلب منها واما الالعاب فاذا رأى الوالدون اقل ضرر منها لم يصعب عليهم منع أولادهم من لعبها بالامتناع عن أعطائهم الدراهم لشرى لوازمها ويحسن بهم ان يهدوا تلك الالعاب الى ذوي السلوك الحسن من أولادهم ويعودوهم ان يحصلوا عليها بتبهم بدلا من ان يأخذوها كأنها حق طبيعي من حقوقهم : » اه المراد وبقي في المقطم قول لبعض الشعراء اهملناه

(المنار) يجب أن تربى البنت لتكون زوجة ، ويجب ان تكون زوجة لتكون أما . وهي لا تكون زوجة الا اذا أراد الرجل ، ومن مصلحة الرجل ان تكون زوجته أما ، ولا تصلح ان تكون أما الا اذا تربت على الاعمال المنزلية وتربية الاطفال . والمدرسة الطبيعية التي تربيها وتعلمها أعمال الامهات هي بيت أبيها الذي تدبر أعماله أمها . فالبنت التي ترى الحرية والاستقلال يبيحان لها ترك البيت وصرف الاوقات في الملاهي والمتنزهات ومخالفة والدتها في ما تأمرها به بلسان المقال أو بلسان الحال من القيام بالامور المنزلية هي كالتلميذ الذي يستبيح ان يترك المدرسة اذا شاء ، ويتعلم فيها ما شاء ويعصى ناظرها واساتذتها متى شاء . فمن يقول ان هذا التلميذ يفلح في اتباع هواه فليقل ان تلك البنت تفلح في اتباع هواها

غلط الافرنج في محاولة جعل النساء كالرجال في تمام الاستقلال ومغبة غلط الامم لا تظهر الا بعد زمن طويل وها هو قد تجمعت نواجمه في قلة النسل وفي اهمال النساء والبنات البيوت اهمالا يفسد شأنها وفي كثرة طلب الطلاق وفي قلة التزوج والاستغناء عنه بالفسق . ومن أعجب أنواع هذا الظهور شكوى الامهات من البنات مع شدة حبهن لهن وعنايتهن برفاهتهن وراحتهن ومع مبالغتهن في إظهار محاسنهن واخفاء مساويهن . ولا بد ان تحمل هذه المضرات القوم على تدارك الامر والاجتهاد في جعل البنت تحت سيطرة امها وأبيها في البيت ليكون ذلك مقدمة لسيطرة زوجها عليها من غير ان يثقل ذلك عليها

اما ما قرأت من مدح بعد الامهات لبناتهن فهو موافق لانتقاد الشاكيات من الحرية وتمام الاستقلال . هكذا تظهر الحوادث بعد تجارب القرون ان تهذيب القرآن وتعليمه فوق كل تهذيب وتعليم ، وما ذلك الا لأنه تنزيل من لدن حكيم عليم .